الفصل الثاني

أنواع الاعتذار في القرآن الكريم

المبحث الأول

أنواع الاعتذار من حيث الوقوع

تنوعت أساليب القرآن في طرح أنواع الاعتذار، ليقوي العلاقات بمختلف أحوالها، ويصلح الخلل بشتى أوضاعه، مؤكدا سبحانه في النفس البشرية أن وراء هذا الكون خالقا ومدبرا، فالأنس والجن اعتذرت، والطير والحشرات، بل إن الله عز وجل ضرب المثل بالاعتذار بأصغر ما عرفه العرب الذرة، وهي النملة الصغيرة، لينحت في النفوس خلقا يحتذى بمختلف المواقف، فقد يكون الاعتذار تهيئة للنفوس لقبول الزلل، أو لتعذر الإتيان بالمأمول، أو لمحو أثر الخطأ، وهذا ما سنستشفه من آيات هذا المبحث.

المطلب الأول: الاعتـذار ابتـداء:

من أرقى وأسمى أساليب الاعتذار أن يكون مقدمة للكلام؛ تهيئة للنفوس، واستجلابا للقبول، ودفعا للحرج من المورود، فقد يكون مقدمة لأمر عظيم، أو مما يستحى منه، أو فيما يشق على النفس قبوله، والتجاوز عن زللِهِ، وقد ورد هذا النوع من الاعتذار في عدة آيات من القرآن.

جاء في طلب نوح عليه السلام المقدم له بالاعتذار: ﭽ ﯦ ﯧ
ﭼ [هود: 45]، فقد أعقب نوح عليه السلام نداء الله عز وجل بالاعتذار تحسرا لطلب ما نهي عنه، قال ابن عاشور: "وجود الفاء في الجملة التي هي بيان للنداء قرينة على أن فعل نادى مستعار لمعنى إرادة النداء، أي أراد نداء ربه فأعقب إرادته بإصدار النداء، وهذا إشارة إلى أنه أراد النداء فتردد في الإقدام عليه لما علم من قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﭼ [هود: 40]، فلم يطل تردده لما غلبته الشفقة على ابنه فأقدم على نداء ربه، ولذلك قدم الاعتذار... فقوله: ﭽ

ﭼ خبر مستعمل في الاعتذار والتمهيد لأنه يريد أن يسأل سؤالا لا يدري قبوله ولكنه اقتحمه لأن المسئول له من أهله فله عذر الشفقة عليه"[1].

وتدرع إخوة يوسف عليه السلام بالاعتذار، حينما قدموا على عزيز مصر لطلب الرزق، لبعث الشفقة، وهز العطف والرأفة. قال تعالى: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ [يوسف: 88]، فاعتذروا عن بضاعتهم إما لنقصها، أو لرداءتها، أو لهما جميعا. قال ابن عباس: كانت دراهم رديئة لا تقبل في ثمن الطعام، ثم سببوا عن هذا الاعتذار؛ لأنه أقرب إلى رحمة أهل الكرم في قولهم: (ﮞ ﮟ ﮠ)[2].

وقد ذكر الله عز وجل هذا النوع من الاعتذار في سورة النمل: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ [النمل: 18]، فضرب المثل سبحانه بهذه النملة لمحاكاتها والتعلم منها، يقول الشعراوي: "وكان على الإنسان أن يتعلم محاكاة ما دونه من الكائنات، فقابيل تعلم من الغراب كيف يواري سوأة أخيه"[3].

فالمتأمل في الآية يدرك سمو خلقها، فمع أنها كانت في أشد ساعات الخطر إلا أنها لم تهتم بنفسها فتنجو بمفردها، بل إنها أنذرت بني جنسها، مع الاعتذار لسليمان بألطف المعاني، يقول ابن باديس: "ولم ينسها هول ما رأت من عظمة ذلك الجند إنذار بني جنسها؛ إذ كانت تدرك بفطرتها أن لا حياة لها بدونهم... فأنذرتهم في أشد ساعات الخطر أبلغ الإنذار، ولم ينسها الخوف على نفسها وعلى بني جنسها من الخطر الداهم أن تذكر عذر سليمان وجنده"[4]، ويقول السعدي: "(ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) منبهة لرفقتها وبني جنسها: (ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ) فنصحت هذه النملة وأسمعت النمل، وعرفت حالة سليمان وجنوده وعظمة سلطانه، واعتذرت عنهم أنهم إن حطموكم فليس عن قصد منهم ولا شعور، فسمع سليمان عليه الصلاة والسلام قولها وفهمه"، وقد أعجب سليمان عليه السلام بأدب النملة وحسن صنيعها، يقول السعدي معلقا على قوله تعالى: (ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ) [سورة النمل: 19] "إعجابا منه بفصاحتها ونصحها وحسن تعبيرها"[5].

---

(1) التحرير والتنوير (84/12).

(2) ينظر، السراج المنير (2/ 132).

(3) تفسير الشعراوي (6/ 3608).

(4) تفسير ابن باديس (262).

(5) تيسير الكريم الرحمن (603).

وتشهد السنة لهذا النوع من الاعتذار فها هو ضمام بن ثعلبة في الحديث الذي يرويه أنس بن مالك فيقول: بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل: يا ابن عبد المطلب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (قد أجبتك) فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك؟ فقال: (سل عما بدا لك) [1].

قال العيني: "فيه تقديم الإنسان بين يدي حديثه مقدمة يعتذر فيها ليحسن موقع حديثه عند المحدث، وهو من حسن التوصل، وإليه الإشارة بقوله: (إني سائلك فمشدد عليك)"[2].

فقد ظهر في هذا الحديث رجاحة عقل ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه حيث علم أنه لن يصل إلى بغيته إلا بالاعتذار، كما علم أن مثل هذا التشديد يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم حرجا في نفسه؛ ولذلك اعتذر بقوله: (فلا تجد علي في نفسك) [3].

وعن أم سلمة: أن أم سليم قالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، هل على المرأة غسل إذا احتلمت؟ قال: (نعم، إذا رأت الماء) فضحكت أم سلمة، فقالت: أتحتلم المرأة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فبم شبه الولد) [4].

قال ابن دقيق العيد: "قولها (إن الله لا يستحيي من الحق) هذا تمهيد لبسط عذرها في ذكرها ما يستحيي النساء من ذكره وهو أصل فيما يصنعه الكتاب والأدباء في ابتداء مكاتباتهم ومخاطباتهم من التمهيدات لما يأتون به بعد ذلك والذي يحسنه في مثل هذا: أن الذي يعتذر به إذا كان متقدما على المعتذر منه: أدركته النفس صافية من العتب، وإذا تأخر العذر استثقلت النفس المعتذر منه، فتأثرت بقبحه، ثم يأتي العذر رافعا، وعلى الأول: يأتي دافعا"[5].

فكانت مقدمة أم سلمة رضي الله عنها (إن الله لا يستحي من الحق) توطئة واعتذارا عن سؤالها لما يستحى منه، حتى تزيل الحرج من ذلك.

---

[1] @.

[2] عمدة القاري (2/ 23).

[3] ينظر: شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (1/ 364).

[4] @.

[5] إحكام الأحكام (1/ 137).

وعن عتبان بن مالك، كان يؤم قومه وهو أعمى، وأنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، إنها تكون الظلمة والسيل، وأنا رجل ضرير البصر، فصل يا رسول الله في بيتي مكانا أتخذه مصلى، فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أين تحب أن أصلي؟) فأشار إلى مكان من البيت، فصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

قال ابن رجب: "وقد اعتذر عتبان – أيضا – بأن السيول تحول بينه وبين مسجد قومه الذي يصلي بهم فيه، فطلب من النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يأتيه في بيته فيصلي فيه، حتى يتخذه مصلى"[2].

فقد قدم عتبان رضي الله عنه طلبه بالاعتذار (إنها تكون الظلمة والسيل، وأنا رجل ضرير البصر)؛ لعلمه لوجوب الصلاة في المسجد، وأنه لا يعفى من ذلك أحد، فكانت سبيلا لقبول طلبه.

من خلال الآيات ندرك:

- أن الاعتذار ابتداء من السمو الخلقي واللباقة الشخصية، لتوطئته لما يخشى قبوله، فيحسن به التوصل للمطلوب.

- أن الاعتذار ابتداء وصف موجز شامل تتدفق فيه المشاعر، ويهز العواطف.

- أن الاعتذار ابتداء من جماله أن النفس تدرك الأخطاء صافية من العتب، لرفعه عنها ابتداء.

---

(1) @.

(2) فتح الباري (3/ 178).

المطلب الثاني: الاعتذار لبيان الحال:

يتعرض الإنسان لمواقف عدة قد يتعذر فيها الإتيان بالمأمول منه، فيدلي بحاله مما يسد به خله، أو يدفع به مذمة، فيوضح العذر، مما يجعله في الأمر معذورا، أو بالعذر مشكورا، وهو ما يعبر عنه بالاعتذار لبيان الحال.

وقد تمثل به شعيب عليه السلام خطيب الأنبياء، في إبلاغ دعوة الخير لقومه، قال تعالى: ﴿ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئېئې ئى ئى ئى ی ی ی ی﴾ [هود: 88].

يقول البيضاوي: "قوله تعالى: (ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى) إشارة إلى ما آتاه الله من العلم والنبوة، والمال الحلال، وجواب الشرط محذوف تقديره: فهل يسع مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه، وأخالفه في أمره ونهيه، وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف، والنهي عن دين الآباء، والضمير في (منه) لله أي من عنده وبإعانته بلا كد مني في تحصيله"[1].

فمع ما يجده شعيب عليه السلام من قومه من شراسة الخلق، وذميم الكلام، إلا أنه أجاب قومه بلطيف الاعتذار لبيان الحال، فهو الحليم الرشيد، والحق ما شهدت به الأعداء، وفي ذلك إشارة إلى أن التحلي بخلق الاعتذار مع ما يقابله الإنسان من الإساءة دلالة على الأناة والحلم ورجاحة العقل، كما ظهر في دعوة شعيب عليه السلام لقومه، وما سيأتي بيانه بعد نزول العذاب عليهم، وهذا ما سنذكره في المطلب الثالث من هذا المبحث.

وها هو يعقوب عليه السلام يحاول تطييب خواطر بنيه بالاعتذار في قوله تعالى: ﴿ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى﴾ [يوسف: 13].

يقول الزمخشري: "اعتذر إليهم بشيئين، أحدهما: أن ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه؛ لأنه كان لا يصبر عنه ساعة، والثاني: خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه"[2].

---

[1] أنوار التنزيل (3/ 145).

[2] تفسير الكشاف (2/ 448).

فيعقوب عليه السلام مع أنه قابلهم بالاعتذار إلا أنه ما زال يتلطف معهم بالعذر الثاني حتى لا يهيج حسدهم الذي هو مجمع الشرور الإنسانية، فأسدى لهم بحاله للخروج مما يؤرقه، ولكنهم استطاعوا إقناعه بأسلوبهم المؤثر الذي سرى إلى نفس يعقوب من غير استئذان، فقد أطمعوا يعقوب عليه السلام بما فيه راحة وأنس يوسف عليه السلام، فطابت نفس يعقوب لإذهابهم إياه من بين يديه، وإن كان يشق عليه فراقه، ولكن المحب يؤثر راحة محبوبه على محبة نفسه.

وتظهر نغمة الاعتذار الحزين حينما يضيق الذرع على لوط عليه السلام. يقول سبحانه: ﭽ ڈ
ڈ ۀ ۂ ہ ه ۃ ۃ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ
ۈ ۋ ۋ ۋ ﭼ [هود: 78]، فيحاول عليه السلام أن يوقظ في قومه الفطرة السليمة، والخوف من الله عز وجل: (ه ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ)، ولكن لم تزل بهم الفورة المريضة، ولم يزل يحاول بهم في ملامسة نخوتهم: (أليس منكم رجل رشيد)، كل هذا لم يلامس قلوبهم المريضة (ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى د د ئا ئا ئە) [هود: 79]، فلم يجد سبيلا للخروج من مأزقه سوى الاعتذار. قال تعالى: (ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى) [هود: 80]، ويحكي النبي الكريم هذا العذر لأصحابه فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (يرحم الله لوطا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد)[1].

يقول النووي: "ومعنى الحديث، والله أعلم، أن لوطا صلى الله عليه وسلم لما خاف على أضيافه ولم يكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه، فقال في ذلك الحال: لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسي، أو آوى إلى عشيرة تمنع لمنعتكم، وقصد لوط صلى الله عليه وسلم إظهار العذر عند أضيافه وأنه لو استطاع دفع المكروه عنهم بطريق ما لفعله"[2].

وامرأة عمران أبدت اعتذارها لعجزها عما نذرته من السدانة. قال تعالى: ﭽ ڈ ڈ ۀ ۂ ہ ه
ہ ۃ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ﭼ [آل عمران: 35].

فقد تقدمت لله بأعز ما تملك، بالجنين الذي في بطنها، ولكنها فوجئت بأنه أنثى، والنذر للمعابد لم يكن معروفا إلا للصبيان ﭽ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى د د ئا
ئا ئە ئە ئو ئوﭼ [آل عمران: 36]، فاتجهت إلى ربها بما وجدت، واعتذرت إن لم يكن لها ولد

---

[1] @.
[2] شرح مسلم للنووي (2/ 185).

ذكر ينهض بالمهمة، مع أن الأمر في حقها مندوب وخارج إرادتها. قال تعالى: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ).

يقول ابن أبي حاتم: "تريد بذلك اعتذارا إلى الله من إطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الإعلام؛ لأن الله تعالى عالم بما في بطنها قبل أن تضعه"[1].

ويقول ابن الجوزي: "وقوله تعالى: (ﯥ ﯦ ﯧ) من تمام اعتذارها، ومعناه لا تصلح الأنثى لما يصلح له الذكر من خدمته المسجد والإقامة فيه لما يلحق الأنثى من الحيض والنفاس"[2]، فإعادة اعتذارها بقوله تعالى: (ﯥ ﯦ ﯧ) إشارة إلى تأكيد الاعتذار.

واعتذر قوم موسى حينما شددوا على أنفسهم في قصة البقرة، فما زالوا يتلكئون في أوصافها حتى شعروا بلجاجتهم في المرة الثالثة فقدموا اعتذارهم. قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ [البقرة: 70].

يقول البيضاوي: "قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ) تكرير للسؤال الأول واستكشاف زائد، وقوله: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ) اعتذار عنه، أي إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا"[3].

ويقول ابن عاشور: "قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ) مستأنفة استئنافا بيانيا لأنهم علموا أن إعادتهم السؤال توقع في نفس موسى تساؤلا عن سبب هذا التكرير في السؤال، وقولهم (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ) اعتذار عن إعادة السؤال، وإنما لم يعتذروا في المرتين الأوليين واعتذروا الآن لأن للثالثة في التكرير وقعا في النفس في التأكيد والسآمة وغير ذلك؛ ولذلك كثر في أحوال البشر وشرائعهم التوقيت بالثلاثة"[4].

وهكذا يظهر الاعتذار لبيان الحال في نصوص القرآن في صور شتى، وتشهد السنة لمثل ذلك، فعن جابر رضي الله عنه، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فبعثني في حاجة، فرجعت وهو يصلي على

---

(1) تفسير ابن ابي حاتم (2/637).
(2) ينظر: زاد المسير (1/377).
(3) أنوار التنزيل (1/ 87).
(4) التحرير والتنوير (1/ 554).

راحلته، ووجهه على غير القبلة، فسلمت عليه فلم يرد علي، فلما انصرف قال: (إنه لم يمنعني أن أرد عليك إلا أني كنت أصلي) [1].

يقول النووي: "ينبغي لمن سلم عليه ومنعه من رد السلام مانع أن يعتذر إلى المسلم ويذكر له ذلك المانع"[2].

وعن عبد الله رضي الله عنه، قال: كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة، فيرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه، فلم يرد علينا، وقال: (إن في الصلاة شغلا) [3].

فيتكرر الحال على النبي المختار في تأخير السلام، وتختلف الأقوال ويبين في كل منهما الأسباب؛ لمحو ما قد يقع في النفس من العتاب.

وعن عبد الله بن عمر، قال: مكثنا ذات ليلة ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة، فخرج إلينا حين ذهب ثلث الليل، أو بعده، فلا ندري أشيء شغله في أهله، أو غير ذلك، فقال حين خرج: "إنكم لتنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم، ولولا أن يثقل على أمتي لصليت بهم هذه الساعة"، ثم أمر المؤذن فأقام الصلاة، وصلى. رواه مسلم.

يقول النووي: "فيه أنه يستحب للإمام والعالم إذا تأخر عن أصحابه أو جرى منه ما يظن أنه يشق عليهم أن يعتذر إليهم ويقول لكم في هذا مصلحة من جهة كذا أو كان لي عذر أو نحو هذا"[4].

فالنبي صلى الله عليه وسلم مع أنه تأخر لمصلحة، إلا أنه أبدى اعتذاره لهم.

وعن أبي جمرة، قال: كنت أقعد مع ابن عباس يجلسني على سريره فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهما من مالي فأقمت معه شهرين، ثم قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من القوم؟ – أو من الوفد؟) قالوا: ربيعة. قال: (مرحبا بالقوم، أو بالوفد، غير خزايا ولا ندامى)، فقالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل، نخبر به من وراءنا، وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة: فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع..) [5].

---

(1) @.

(2) شرح مسلم للنووي (5/ 27).

(3) @.

(4) شرح مسلم للنووي (5/ 139).

(5) @.

قال ابن حجر: "فيه دليل على إبداء العذر عند العجز عن توفية الحق واجبا أو مندوبا"[1].

فوفد عبد القيس يلتمسون رضا النبي صلى الله عليه وسلم في عدم حضورهم، ويذكرون الأسباب في ذلك، ليتركوا نفس النبي صلى الله عليه وسلم صافية عليهم.

من خلال الآيات ندرك:

ـ أن الاعتذار لبيان الحال يؤتى به تلطفا من عدم الإتيان بالمطلوب، محذورا كان كما كان من قوم شعيب، أو واجبا، أو مندوبا، أو بسبب تأخيره.

ـ أن الاعتذار لبيان الحال من الصعب تأطيره، لكنه يرتسم في كل المعاني والكلمات التي من شأنها أن تبقي الوفاء والنقاء.

ـ أن الاعتذار لبيان الحال تتقدم به النفوس النقية الراقية؛ لتديم ما حولها من صفاء.

المطلب الثالث: الاعتذار بعد ظهور الحق:

يتعرض الإنسان للوقوع في الخطأ قاصدا، أو لم يقصد؛ فهو أمر جبلي طبع عليه، ولكن من كمال المروءة وجميل الصنيعة أن يبادر لمحو أثر خطئه بعد ظهور الحق، أو بيان الأمر، وهكذا يتعامل الإسلام مع الإنسان بإمكانية وقوع الخطأ منه، ويرغبه في تصحيحه (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) [2].

وتظهر صورة من صور هذا الاعتذار في القرآن باعتذار الجان. يقول سبحانه: ﭽﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ [الجن: 5]، يقول أبو السعود: "وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم؛ أي كنا نظن أنه لن يكذب على الله تعالى أحد أبدا؛ ولذلك اتبعنا قوله"[3]، فكان الجن مغترين بالقادة، محسنين الظن بهم، وحينما ظهر الحق اعتذروا عن سوء صنيعهم، وبينوا أنهم لم يتجرؤوا على الله إلا بسببهم.

ويظهر سحرة فرعون اعتذارهم بعد ظهور الحق وبيان الأمر في قوله تعالى: ﭽﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ [طه: 73]، يقول أبو السعود: "أي التي اقترفنا فيها من الكفر والمعاصي، ولا يؤاخذنا بها في الدار الآخرة.. وقوله تعالى (ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ)

---

(1) فتح الباري (1/ 132).

(2) @.

(3) إرشاد العقل السليم (9/ 43).

عطف على خطايانا؛ أي ويغفر لنا السحر الذي علمناه في معارضة موسى عليه الصلاة والسلام بإكراهك وحشرك إيانا من المدائن القاصية، خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم إظهارا لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته. وذكر الإكراه للإيذان بأنه مما يجب أن يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالإكراه، وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة"(1).

فيعتذرون لله عن سوء فعلهم، ويظهرون في بقية موقفهم ثباتهم وعدم عودتهم مهما ساومهم فيه من القتل والصلب، وفنون العذاب الصعب. يقول جل ذكره: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ [طه: 72].

ويعتذر إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم، بعد أن حصل ما حصل من حادثة سرقة أخيهم، وقد أعطوا أبيهم العهود والمواثيق. يقول أبو العباس: "قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ [يوسف: 81]، اعتذار؛ أي: لو علمنا أن الأمر يؤول لما وقع، لما شهدنا عليه"(2).

فقد اعتذروا لأبيهم، وأبانوا له بعد أن وقعت السرقة، واتضح أمر أخيهم، أن الأمر لم يكن بأيديهم، ولا بتفريط منهم.

وفي كل المواقف الثلاثة يبدي المقصر اعتذاره بعد ظهور الحق واتضاح الأمر، وهو من جميل الخلق ولطيف الطباع، ولكن يظهر هذا النوع من الاعتذار (بعد ظهور الحق واتضاح الأمر) في أسمى معانيه حينما يبادر المعتذر منه بالاعتذار، كما رسمته الآيات في موقف يوسف، وشعيب، عليهما السلام.

ففي موقف يوسف عليه السلام مع إخوته: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ [يوسف: 89]، ترفق في إفضاء الحقيقة لهم، ثم اعتذار عنهم، يقول ابن جزي: "(ﮊ ﮋ ﮌ) اعتذار عنهم، فيحتمل أنه يريد الجهل بقبح ما فعلوه، أو جهل الشباب"(3).

فيعتذر عنهم، ويختار ألطف الكلمات والمعاني في ذلك. يقول القاسمي: "من تلطفه بهم قوله: (ﮊ ﮋ ﮌ) كالاعتذار عنهم؛ لأن فعل القبيح على جهل بمقدار قبحه أسهل من فعله على علم، وهم لو ضربوا في طرق الاعتذار لم يلفوا عذرا كهذا، ألا ترى أن موسى عليه السلام لما اعتذر عن نفسه لم يزد على أن قال: (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ) [الشعراء: 20] ففيه تخفيف للأمر عليهم"(4).

---

(1) المصدر السابق (6/ 30).

(2) نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (2/ 264).

(3) التسهيل في علوم التنزيل (1/ 395).

(4) محاسن التأويل (6/ 213).

وفي موقف شعيب عليه السلام بعد هلاك قومه: ﭽ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۉ ۆ ۆ ې ې ې ى ى ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ [الأعراف: 93].

كان المنظر العاطفي الإنساني، والخلق النبوي حين رأى كيف أصبحوا، أن يعتذر إليهم، بعد ظهور الأمر لهم، وتبين ما هم عليه من الباطل، بالرغم مما وجده منهم من ذميم الأخلاق وسيئ الطباع، فقد أبلغهم كل ما وصله من الله، ولم يقتصر على البلاغ، بل أضاف عليه النصح، وهو الإلحاح عليهم في أن يثوبوا إلى رشدهم وأن يتبعوا نهج الله.

يقول القاسمي: "(ۈ ۇ) أي: أعرض عن شفاعتهم والحزن عليهم، وقال أي: في الاعتذار (ۋ ۋ ۅ ۉ) أي بالأمر والنهي، (ې ې) أي: حذرتكم من عذاب الله، ودعوتكم إلى التوبة والإيمان بما يفيد ربح الدارين، ويمنعكم خسرانهما، لكنكم كفرتم، (ى ى) أي: أحزن حزنا شديدا (ﯓ ﯔ ﯕ) أي: بالله إن هلكوا"[1].

وتترك لنا السنة جانبا مشرقا من هذا الاعتذار، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر، فقال: (اتقي الله واصبري) قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم، فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) [2].

فقد كانت المرأة في شدة مصيبتها، ولم تعرف النبي صلى الله عليه وسلم، وجفت في ردها عليه حينما نهاها، فلما اتضح لها الأمر، بادرت بالاعتذار، وذهبت إلى بيته، تعتذر عن جفوتها وخشونتها في الرد.

وعن عائشة، "أن فاطمة عليها السلام، بنت النبي صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه بالمدينة، وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد – صلى الله عليه وسلم – في هذا المال)، وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلا، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما

---

[1] المصدر السابق (5/ 155).

[2] @.

توفيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر: أن ائتنا ولا يأتنا أحد معك، كراهية لمحضر عمر، فقال عمر: لا والله لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر: وما عسيتهم أن يفعلوا بي، والله لآتينهم، فدخل عليهم أبو بكر، فتشهد علي، فقال: إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نصيبا، حتى فاضت عينا أبي بكر، فلما تكلم أبو بكر قال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال، فلم آل فيها عن الخير، ولم أترك أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيها إلا صنعته، فقال علي لأبي بكر: موعدك العشية للبيعة، فلما صلى أبو بكر الظهر رقي على المنبر، فتشهد، وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة، وعذره بالذي اعتذر إليه، ثم استغفر وتشهد علي، فعظم حق أبي بكر، وحدث: أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر، ولا إنكارا للذي فضله الله به، ولكنا نرى لنا في هذا الأمر نصيبا، فاستبد علينا، فوجدنا في أنفسنا، فسر بذلك المسلمون، وقالوا: أصبت، وكان المسلمون إلى علي قريبا، حين راجع الأمر المعروف"[1].

فيتجلى في هذا النص عظم ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من عظيم الخلق ومراجعة الحق، والاعتذار بعد ظهوره، على مرأى ومسمع من الناس، لما تحمله قلوبهم من التواضع، ولين الجانب وخفض الجناح للحق.

من خلال الآيات ندرك أن الاعتذار بعد ظهور الحق وبيان الأمر:

- يكون بعد اقتراف الخطأ؛ لمحو أثره وإزالة درنه من النفوس.

- تأتي الجمل والعبارات في محو الخطأ إما فعلت لأجل كذا، كما جاءت صورته في موقف الجان، أو فعلت ولا أعود، كما في موقف السحرة، أو لم نفعل، كما في موقف إخوة يوسف حينما أعطوا أبيهم المواثيق في رد أخيهم.

- من شأنه أن يعيد للعلاقات صفاءها، بل قد تكون أفضل مما كانت؛ لما يزرعه في النفوس من الود والتسامح والتواضع، منبع الأخلاق الكريمة.

---

(1) @.